الصحافي مُسَمِّماً

شبلي ملاط
محام دولي - أستاذ جامعي
"لوريان نو جور"- "لوريان لیتریر"
ترجمة نسرين ناضر

"سمَّ". هكذا يختصر جهاد الزين مهنة الصحافي نحو نهاية كتابه ["المهنة الآثمة: نقد تجربتي في الكتابة السياسية]. التعبير صادِمٌ، فمَن هو أكثر رِفقاً كان ليقول ببساطة إنها "نقدٌ". جوهر المهنة هو نقد المجتمع، لكن هذا النقد حكرٌ على نوعٍ معيّن من الصحافيين، تحديداً المعلّق. نرى الزين يسير متذبذباً، بشيء من الالتباس، بين المراسل الصحافي المعهود، والمعلّق والصحافي الاستقصائي. غياب الصحافي الاستقصائي في تقاليدنا الشرق أوسطية، أي الصحافي الذي يصنع الحدث من خلال أبحاثه، لا يتطرق إليه الزين في كتابه، مع إبدائه أسفه للأمر. لكننا نراه، من حينٍ لآخر، يعترف بأنه رقص "الكشف عن وقائع" لاحظها خلال أحاديثه مع شخصيات مختلفة، فاختار عن درايةٍ، مثلاً، عدم الإشارة إلى السيكار الضخم الذي كان طارق عزيز يدخّنه فيما كانت العقوبات تتسبب بإفقار شديد للعراقيين. لكن في المجمل، يتمحور كلام الزين حول المعلّق في هذه المهنة النبيلة والمحفوفة بالمخاطر، وربما المحتضرة.

يَقدّم الكتاب إذاً نافذةً مزدوجة على المستقبل، الأولى على المهنة: إنها تأمّلات في الممارسة الصحافية للمسؤول عن صفحة "الرأي" في صحيفة سياسية كبرى، "السفير" أولاً ثم "النهار"، ووسائل التحليل، وتنوّع القرّاء وانحرافاتهم، والرقابة لا سيما الرقابة الذاتية، و"السُّم".

في مهنة المعلّق الآثمة، قلّة من الحقوق ويزاولها منذ قرابة الأربعين عاماً في إطار رؤية عميقة الاطلاع. مما لا شك فيه أن الزين هو المحرر الوحيد في العالم الذي يُجيز الهوامش في أسفل الصفحة في المقالات التي ينشرها. وهو الوحيد الذي فتح صفحته أمام مقال باللغة الفرنسية عندما زار جاك شيراك بيروت. صحيح أنه أفاد من الهامش الذي منحه إياه رئيس تحرير من طينة غسان تويني الذي كان يَقدّر الإثم المبدع لدى مؤلاء الصحافيين وكان يَشجّعهم.

وفي نافذةٍ أخرى، الكتاب هو تأمّل في السياسة. وأنصح به للشباب عبر إدراجه في المنهاج الدراسي لكليات الإعلام كما في منهاج العلوم السياسية. السياسة كما يراها الزين محفِّزة للاهتمام. فكل تأمّل، وكل جملة تقريباً، تُثير الفضول بما يتعارض مع الليبرالية المملّة واللبقة التي غالباً ما نقع عليها في الصحف الكبرى في الغرب، مثل "نيويورك تايمز" و"لوموند" و"الغارديان". صفحة "القضايا" التي يرأس الزين تحريرها خارجة عن المألوف والتقاليد المتّبعة، ليس فقط من خلال الآراء المتنوّعة التي تُنشَر عبرها، إنما وفي شكل خاص من خلال مساهمات الزين نفسه، التي هي دائماً مفاجئة، وآثمة كما يقول، ومسمِّمة، كما يرد في عنوان هذا المقال. نقع على نفَسٍ مدقّق ومختلف في كل إصدار للصفحة.

وهذا ما ينطبق على موقف الزين من المسألة السورية. فهو يشير مرة أخرى في الكتاب إلى أنه يجب وقف الحرب بشتّى الوسائل، بما في ذلك القبول ببقاء الأسد في السلطة. أي التطبيع. لم يبقَ له إذاً سوى عدد قليل من الأصدقاء في صفوف المعارضة السورية، هو الذي فتح لهم صفحته خلال محطات الديكتاتورية المروّعة، قبل وقت طويل من اندلاع الثورة الكبرى عام 2011. نقع على النقاش عن التطبيع مع الأسد في الكتاب، إلى جانب نقاشات أخرى، على غرار إشادةٍ سريعة ببول وولفوفيتز الذي التقاه الزين عام 2003، وسمع منه كلاماً انتقادياً لإسرائيل. نلمس لعبة التوازن الدقيقة، حتى ولو أن الأسد الشاب لم يحصل مطلقاً على تنويه "ديموقراطي" في كلام الزين. فكيف نُجيب إذاً؟ نعم للتطبيع كي تتوقف الحرب، مهما كان الثمن؟

لديّ رأيٌ مغاير، لكنه ليس مهماً في السياق المختصَر لهذا المقال. لأن هذا التأمل حول المسألة السورية هو واحدٌ من عشرات التأملات العميقة في الكتاب، ويَدهشنا عدد هذه التساؤلات وكثافتها على امتداد الصفحات. الإثم، السُّم هو الخيط الموجِّه في هذه الوفرة الآسرة لمقاربةٍ مختلفة للسياسة. هذا فضلاً عن أن الكتاب صيغَ بأسلوب جيد جداً.

بقية تسميم اليوميات الحافلة للسياسة، يجب أيضاً امتلاك الوسائل الفكرية اللازمة. يُذكّر الزين بأن الصحافي التلفزيوني الذي لا يكتب، أو لا يستطيع الكتابة، عليه أن يمتنع عن مزاولة الصحافة، وهي نصيحة نضعها في عهدة معظم مقدّمي البرامج الحوارية الذين تمتلئ بهم شاشاتنا. إنما يجب أيضاً الإقبال على القراءة، ثم القراءة ثم القراءة. هذا هو النداء الآخر القوي الذي يوجّهه الكتاب إلى الصحافيين الشباب، كما إلى الشباب المتخصصين بالعلوم السياسية.

كان غسان تويني ليحبّ هذا الكتاب، وفي اعتقادي أنه كان ليأسره أكثر من أي قارئ آخر.

https://www.lorientlitteraire.com/article_details.php?cid=16&nid=7570

يُذكّر الزين بأن الصحافي التلفزيوني الذي لا يكتب، أو لا يستطيع الكتابة، عليه أن يمتنع عن مزاولة المهنة، وهي نصيحة نضعها في عهدة معظم مقدّمي البرامج الحوارية الذين تمتلئ بهم شاشاتنا

الصحافيين في العالم العربي يمتلكون مسيرة مهنية غنيّة بقدر الزين. فقد انخرط في هذه المهنة مباشرةً بعد نيله إجازة

كان غسان تويني يُقدّر الإثم المبدع لدى هؤلاء الصحافيين، وكان يُشجّعهم... وكان ليحبّ هذا الكتاب، وفي اعتقادي أنه كان ليأسره أكثر من أي قارئ آخر